"يونس" .. فتى القهوة!

أنا "يونس" الفتى المختلف .. والذي يحمل صباحات ومساءات مختلفة كلها مع القهوة والحب .. لا أذكر تحديداً متى اقترنت بتلك الفاتنة بنية اللون حميمية المذاق .. فقط وجدتني أعمل بإعداد القهوة وأحببت ذلك جدا .. استقبال كل ضيف من ضيوف "الكافيه" واعداد ما يناسبه من القهوة .. بمرور الوقت أصبحت ومعظم عملائي أصدقاء .. يستمعون لي وأستمع لهم ولحكاياهم المتقلبة عن الحب .. اليكم يوم من أيامي أنا "يونس" .. فتى القهوة".

•

"اووف .. علِي التكييف شوية يا أحمد .. الجو شكله حر أوي النهاردة".

نطقها يونس وهو يعدل من هندامه اسعدادا ليوم عمل طويل أمام رفيقة يومه ماكينة صنع القهوة العتيدة .. أخذ يعيد مسح

وتلميع الماكينة التي كانت تلمع بضوء ذهبي مبهج يتناسب مع أشعة الشمس القوية التي كانت تغمر المكان في ذلك الوقت المبكر من الصباح تاركة ضوء قوي يبعث النشاط في النفس .. امتزجت رائحة حبات البن مع المخبوزات الطازجة التي خرجت تواً من الفرن الصغير بمطبخ الكافيه فأغمض يونس عيناه في رضا ومتعة معبراً لمن يراه عن أنه الرجل المناسب في المكان المناسب.

في مرح فتح أحدهم باب الكافيه متجهاً حيث يقف يونس مبتسماً في انتظار القادم.

"صباحو يا كابتن" نطقها "يونس" في ود ومرح للشاب القادم والذي تبدو على جسده الملامح الرياضية القوية.

"صباحو يا يويو" قالها الرياضي في ود مشيراً ليونس على ماكينته مردفا "الاسبريسو المتين بقى يلا عندي تمرين".

كان يونس قد بدأ بالفعل في تحضير الاسبريسو الخاص بالشاب وما هي الا دقائق قليلة حتى كان يونس يمد يده بالقهوة للشاب الذي التقطها في بهجة جالساً على مقعد مرتفع وما لبث أن قربها من أنفه وهو مغمض العينين متمتماً "مممممم يا عظمتك يا يونس".

ابتسم يونس في رضا وهو يراقب الشاب وهو يشرع في شرب قهوته باسمتاع شديد فبادره يونس "شفتلي البروتين الي طلبته يا كابتن".

= يابني ده طلع أي كلام .. جيبلك حاجة قوية ومش مضروبة .. انت مين الي قالك عليه ده؟ أكيد حد من الرعاع .. لما تحب تجيب حاجة زي كده تسأل أهل الخبرة حنفضل نعلم فيكوا لحد امتى؟

انفجر "يونس" ضاحكاً "حاضر يا مولانا حقك عليا .. هاتلي الصح بقى انا بتمرن اهه زي ما انت بتقولي بالضبط".

= "جدع يا يويو .. احنا في أيام صعبة أوي الراجل فيها عبارة عن باي وتراي وحبة حاجات تانية".

استمر يونس في الضحك بينما تجرع الرياضي آخر رشفة في قهوته وقام في نشاط متجهاً للكاشير وملوحاً ليونس "سلام يا بطل .. حستناك باليل في الجيم بقى".

لوح له يونس في حماس "على معادنا يا كابتن".

اتجه يونس لمشغل الموسيقى وأمسك بالريموت كنترول الخاص بالجهاز وأخذ يقلب في الأغنيات حتى أتاه صوت "أنغام" "ياريتك فاهمني زي أنا ما بفهمك وتقرى الي جوايا أما عيني تكلمك" وما لبث أن رأي فتاة وصبي لا يتجاوزان السادسة عشر ربيعا يتقدمون ناحية ماكينته فترك الأغاني واقترب منهم كان الشاب الصغير طويل نحيل الجسد بسيط الملامح يظلل وجهه شعر ناعم كثيف ليس بالقصير وعلى وجهه ظهرت علامات لحية خفيفة تجاهد حتى تظهر يحمل كراساته وهاتفه الذي انشغل به بينما هي انشغلت به هو كما راى "يونس" كانت الفتاة رقيقة وصغيرة كنبتة لم ترى طريقها للنمو والشمس بعد .. بكر غضة لا تعرف عن الحياة شيئاً .. بادرهما يونس قائلاً "أؤمروني يا شباب" فالتفت اليه الشاب الصغير "٢ لاتيه مع اكسترا شوجر" ثم عاد للحملقة في هاتفه بينما لم تحول الفتاة نظرها من عليه في حيرة وكأنها تبحث عن كلمات تقولها له فقالت "تفتكر نجيب هوت شوكليت لندى يا يحيي واحنا رايحين الدرس؟ بدا الشاب لم يسمعها لانشغالها بهاتفه فأعادت النداء على مسامعه بصوتها الرقيق فالتفت لها في لا مبالاة آآه آآه اطلبيلها اوكي.

بدا على ملامح الفتاة خيبة الامل وبعض الضيق فالتفتت ليونس الذي كان قد انتهى من اعداد اللاتيه الخاص بهما فقالت له "وان لارج هوت شوكليت بليز من فضلك" أومأ لها يونس بالايجاب وبدأ في اعداد الهوت شوكليت بينما بادرت هي الشاب "أنا قلت لبابي يجيبلي بلاي ستيشن فور عشان ألعب معاك انت والشلة بابجي فرفع الشاب رأسه من على هاتفه في دهشة قائلاً لها "بس انتي مش بتحبي الجيمز دي يا هيا مفتكرش حتنبسطي.

همت بالرد عليه ففتحت فمها الا انه كان قد عاد للانشغال بهاتفه فناولها "يونس" الهوت شوكليت وهو يبتسم لها في ود قائلا "لسه بدري على فكرة .. متستعجليش" علت علامات الدهشة للفتاة وربما همت بالرد على يونس ومعارضته الا انها ابتسمت له في قلة حيلة قائلة "ميرسي .. سي يو".

اختفى الفتى والفتاة وظل يونس يتابعهم متأملاً ثم انشغل بتغيير الأغنيات وما لبث صوت "اليسا" أن انبعث شادياً "أنا ما بدي اياك لكن ما بدي تنساني .. اللي عشته معي ممنوع تعيشه مع

حدا تاني .. ضللك حبني عن بعد واتخيل انا مع بعض حسسني أنا وادامك ان وقفت فيك الارض".

انفرج باب الكافيه كاشفا عن امرأة في تبدو في منتصف ثلاثيناتها مكتملة الأنوثة تنبؤ ملامح وجهها بنضج واضح وتجربة غير يسيرة!

قابلها يونس بابتسامته البهية هاتفاً "مس نيرة .. نورتي".

- صباح الهنا يا يونس .. قهوتي بليز.
- دقيقة بالضبط.

استقرت "نيرة" على كرسي البار بالقرب من يونس وأخرجت سيجارها من حقيبتها وما ان همت باشعالها حتى اصطدمت بنظرة "يونس" الذي نظر لها لائمة فتوقفت هاتفة "ايه كبت الحرية ده".

- سوري مس"نيرة" انتي عارفة دي نوسموكنج اريا".
- عارفة عارفة هات القهوة بقى عوضني عن بوظان مزاجي.
- اتفضلي.

ارتشفت "نيرة" أول رشفة من قهوتها ثم أغمضت عيناها متراجعة بظهرها للخلف في متعة ثم ما لبثت أن فتحتها هاتفة "الله بقى".

ابتسم "يونس" في رضا وتمتم "بالهنا مس"نيرة".
ما لبثت ملامح المرأة أن تغيرت وذهبت مع قهوتها لعالم آخر وهي تشرد ببصرها خارج نافذة الكافيه مما دفع "يونس" لمبادرتها "ليه الحزن اللي في عنيكي ده مس "نيرة"؟!
ابتسمت "نيرة" في مرارة مجيبة : بقيت باجي آخد قهوتي لوحدي يا "يونس" .. ده مش سبب كفاية اني مبقاش مبسوطة.
- اعذريني مس "نيرة" بس أنا عمري ما حسيت انه انتي ومستر "تامر" مع بعض!
- ازاي؟!
- حقيقي .. كل مرة كنت بشوفكم مع بعض كنت بلاقيكم أصدقاء .. زمايل شغل .. لكن مش "couple" مش اتنين مرتبطين أو في علاقة.
- كان موجود يا "يونس" .. دلوقتي مبقاش موجود.
- يمكن كان موجود بس مش بالشكل اللي كنتي انتي بتحسيه .. يمكن اللي كنتي بتحسيه مكانش حقيقي او مكانش هو بيحسهولك .. يمكن بعده وعدم وجوده يكون أفضل.
- أفضل؟؟!! أفضل أكون لوحدي!!

- مش قصدي.
- أومال ايه قصدك.
- قصدي ان وجود مستر"تامر" في حياتك مكانلوش محل من الاعراب .. من الوجود .. يعني لا هو حد مهتم ويحب ولا حتى صديق مهتم ومحدد مكانته بحياتك كتير كنت بلاقيكي بتدوري عليه .. الاصدقاء اللي بجد بيدوروا على بعض لما يختفوا وبيفهموا لما حد فيهم بيبعد او بيبقى متأزم .. مفتكرش هو دور عليكي يوم وقاللك انتي فين .. تعرفي .. كنت بحسه عاملك تشويش .. تشويش على مشاعرك .. تشويش ممكن يخليكي مش شايفة أي حد يفكر يقرب منك لانه مهتم فعلا او بيحبك .. تشويش يوقفك مكانك متتحركيش خطوة واحدة بمشاعرك في أي اتجاه .. صدقيني يمكن وحدتك "المؤقتة" دلوقتي أفضل كتير من وجودك مشوشة.

زفرت "نيرة" زفرة ساخنة خرجت بأنفاسها الحائرة وهي تمد بصرها لذات النافذة متمتمة "جايز يا يونس .. جايز" ثم ما لبثت ان نهضت ملتقطة حقيبتها انا لازم أطير بقى عندي ميتنج.

بادلها يونس الابتسام وأشار لها شارة الوداع حتى اختفت عن ناظره وابتلعها االزحام خارج الكافيه.

سرعان ما توسطت الشمس السماء وانتصف النهار وازدحم الكافيه بالقادمين والرائحين من رواده حتى دخل المكان رجل أربعيني مقطب الحاجبين انهمك في محادثة تليفونية يبدو أنها غير لطيفة من ملامحه الغاضبة وما لبث أن أشار بالسلام ل"يونس" الذي رحب به وشرع فيما يبدو في اعداد قهوته .. جلس الرجل أمام يونس ومالبث أن انهمك في حديثه الغير ودود مع الطرف الآخر "ياستي قلتلك الميتنج خلص ونزلت آخد بريك .. ايه؟ حرام؟ كتير عليا أسيب الشركة والساقية اللي بلف فيها طور وأنزل آشرب زفت "قهوة"؟ ... آه لوحدي .. تحبي أصورلك نفسي واللا أعملك لايف ع الفيسبوك .. يلا سلام".

في غضب يغلق هاتفه ويتركه على البار أمامه ويسحب قهوته التي أتم "يونس" اعدادها سريعاً مبادراً يونس "هات يابني القهوة خلي الواحد يعدل دماغه .. ده ايه الأرف ده؟ عيشة دي؟ عايز أفهم يعني هي دي عيشة يعني؟ حصار حصار حصار ولا كأني متجوز وكيل نيابة .. أووووف".

- معلش مستر "سامح" اهدى واشرب قهوتك كله بيعدي.

- لا بيعدي ايه دي حاجة أرف بجد انت يابني ع البر مرتبط واللا خاطب باين لسه منزلتش الملاعب متعرفش حاجة عن الستات ولا اللي بيعملوه .. لا وبغباوة كمان يعني الواحدة من دول بتتصرف متخيلة نفسها أذكى "ستوكر" في بر مصر وهي أغلب م الغلب نفسه ولا تعرف تعمل معانا حاجة يابني.

- أكيد مستر "سامح" حضرتك مش قليل أبداً .. حضرتك عميلي من سنين.

- قصدك ايه انت كمان انا ناقصك هههههههههههههه.

- لا مش قصدي مستر "سامح" بس ءءءء.

- ولا بس ولا بتاع .. انت مش فاهم حاجة .. أقولك أنا على أغبى حاجة ممكن ست تعملها .. انها تعيش معاك و"تبرطع" تحت يافطة مفهوم ال"متقدرش" ده بيبقى الأغبى على الاطلاق .. لانه مفيش راجل ميقدرش يا "يونس" ميقدرش ايه؟ ميقدرش يعرف غيرها؟ لا يقدر .. ميقدرش يسيبها؟ لا يقدر ويقدر جداً .. ميقدرش يعمل حياة جديدة؟ لا يقدر .. ميقدرش يحب من اول وجديد؟ لا يقدر .. يبقى متعيشيش

معايا بمفهوم ميقدرش ده عشان انا اقدر ومفيش راجل بيقبل ان دراعه يتلوي.

يصمت يونس متأملا فيستدرك "سامح".

- وعلى فكرة بقى مفيش ست متقدرش كمان .. وميغركش القيود المجتمعية والغلط والعيب والحرام فأنا مش ببلطج لا خالص أنا بقوللك أن مبدأ مراتي في الحياة مبدأ غبي لأنه مفيش حد ميقدرش يسيب اللي تاعبه في عيشته.

- أكيد مستر "سامح" أكيد .. بس هو ..

- هو ايه؟ متردد ليه ما تقول ده انت حبيبي يا يويو ده احنا عشرة.

- حبيبك يبقى القهوة ضبطت المزاج وهدينا بقى.

- هههههه اكيد طبعا .. هاه .. عايز تقول ايه؟

- عايز أقول انه الأمور مكانتش أحسن حاجة عندك مستر "سامح" وانك يعني .. ءءءء

- بتقطع ليه يا واد ما تنطق .. واللا اقوللك اكمل أنا .. مكنتش بجيلك لوحدي أبدا .. عمري ما جيتلك لوحدي؟ ماشي يا "يونس" أنا معترف وعارف .. حصل .. بس كبرنا بقى

وعقلنا وبقالي فترة اعتذرتلها عن الهبل بتاع زمان وراضيتها .. ايه المطلوب بقى يعني .. تمضيلي صك غفران وتعتقني من الشك والملاحقة واللا ايه؟

- لا مستر "سامح" مش كده.

- أومال ايه يا بني؟

- الثقة مستر "سامح" .. الثقة لو راحت بين أي اتنين خاصة لو علاقة طويلة وممتدة زي حالتك مش بترجع بسهولة .. محتاجة مجهود كبير وصدق عشان ترجع .. كمان محتاجة صبر وتجاهل لعدم الثقة كبير أوي.

- اعملها ايه يعني وهي بتحاصرني بالأسئلة لمجرد اني تعبت من الشغل ونازل آخد الكوفي بتاعتي .. أفندم يعني؟

- عزومة صغيرة منك ليها مستر "سامح" انها تشرب القهوة معاك في البريك كانت ممكن تهديها وتديها احساس بالثقة وقبل ما تعترض انا من اللي اعرفه هي حد مشغول اصلا وكانت في الغالب حترفض وتمتنالك هابي كوفي مستر "سامح".

- يا سلام.

- جرب.

- ماشي يا حكيم .. أما نشوف حتعمل ايه لما تغوط برجليك وتسيب الشط يا حلو .. ده احنا حنضحك ضحك..
- ربنا يستر مستر "سامح".
- حيستر يا "يونس" مش حسيبك .. حديك كل خبرتي هههههه يلا سلام.
- سلام مستر "سامح".

يخرج "سامح" مسرعا من باب الكافيه ولا يلبث هاتف "يونس" أن يرن وتظهر عليه صورة لفتاة صغيرة رقيقة الملامح فيلتقطه الشاب في فرحة ويبادر مجيباً "لولو".

- "يونس".
- عيون "يونس".
- هاي يا قلبي.
- هاي يا قلب "يونس" .. خلصتي محاضراتك.
- اها .. خلصت .. حشوفك؟
- طبعا .. عدي عليا أكون خلصت الشيفت بتاعي.
- أوك يا "يويو".
- مستنيكي ..... "هديل".

- أيوه.
- بحبك.
- وأنا بحبك.

***